وكما هو واضح فان أوجه التماثل واضحة بين لغة كيسنجر ولغة هيغ، لغة «الدكتور» ولغة «الجنرال»، خاصة في الاساسيات. كلاهما يدافع عن زيادة الوجود العسكري الاميركي في المنطقة، وكلاهما يرتكن في هذا إلى ضرورة درء «الخطر السوفياتي». كلاهما يريد للولايات المتحدة دور صانع القرار للسياسة الخارجية الغربية ككل، كلاهما يتخذ موقفا معاديا وصريحا ضد منظمة التحرير الفلسطينية.

أوروبا ثورٌ

لكن الملاحظ أنه لا تصريحات هيغ ولا تصريحات كيسنجر جلبت ردود فعل عربية واضحة... بينما جلبت تصريحات وردود فعل أوروبية – ولو اعلامية فقط – أكثر وضوحا وقوة على الاقل فيما يخص هجوم كيسنجر على المبادرة الاوروبية وعلى سياسة السوق الاوروبية المشتركة ازاء ازمة الشرق الاوسط، وبالتحديد ازاء القضية الفلسطينية وازاء منظمة التحرير الفلسطينية. وعلى سبيل المثال فان تصريحات اللورد كارنغتون وزير خارجية بريطانيا – التي تتولى الحكم فيها الآن حكومة محافظة يمينية لا يمكن وصفها بالعطف على الحركات الثورية وقضايا التحرر – سجل موقفا ضد تصريحات كيسنجر وضد ما بدا حتى الآن من توجهات السياسة الخارجية الاميركية تجاه الشرق الاوسط، وذلك حينما صرح (١/١٠) قبيل زيارته للقاهرة بأن المجموعة الاوروبية لم تستخف بالدبلوماسية الاميركية في عملية سلام كامب ديفيد، لكنها أقل تفاؤلاً من الاميركيين في هذا الصدد. وقال – في لقاء مع مجموعة من الصحفيين الاسرائيليين المقيمين في لندن – أنه «اذا كانت هناك فرصة لعقد لقاء بينه وبين ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية فانه من الضروري عدم تفويتها... وسألتقيه بالطريقة نفسها التي التقيت بها جومو كينياتا والاسقف مكاريوس وروبرت موغابي أو أي شخص آخر. واذا كان هؤلاء الناس يمثلون جزءا من شعب فليس هناك أي شك بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، فانني سألتقيهم».

ولكن الهجوم الذي تعرض له كيسنجر في الصحافة الاوروبية كان أقوى بكثير. وقد كشف عن بدايات انشقاق حقيقي على الاقل بين الادارة الاميركية والاعلام الاوروبي الغربي ربما يكون أخطر انشقاق من نوعه منذ هجوم الاعلام الاوروبي الغربي على الدور العسكري الاميركي في فيتنام.

لقد كتبت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية (١١/١/١٩٨١) مقالاً تحت عنوان «قصر نظر كيسنجر» قالت فيه: «ان كيسنجر – مثل برجينسكي بعده – ينظر إلى شؤون الشرق الاوسط ضمن اطار النزاع بين الشرق والغرب، وهو اذ يفعل هذا انما يواصل اصراره على التقليل من اهمية القضية الفلسطينية... كذلك كانت ملاحظات كيسنجر خطأ فادحا في اصدار الاحكام. اذ لا توجد حقيقة صارخة أوضح من ان مستقبل الفلسطينيين – وهو مستقبل يعني الارض والكيان السياسي أيضا – لا يمكن حله في غياب الفلسطينيين. وثانيا، سواءٌ راق ذلك لكيسنجر أم لا، ان الممثل الواقعي الوحيد الصالح للقضية الفلسطينية هو منظمة التحرير الفلسطينية». واختتمت «الصنداي تايمز» تعليقها بعبارة بالغة الدلالة حيث قالت: «اذا كانت الافكار الاخيرة التي اعرب عنها كيسنجر دليلاً على مواقف الحكومة الاميركية الجديدة، فانها تنذر بمستقبل مشؤوم».

ولم تكن صحيفة الاوبزرفر البريطانية أقل شعوراً بهذا الخطر، فقد كتبت (١١/١/١٩٨١) مقالاً تحت عنوان «خطر: حذار فهذري جو طليق» قالت فيه: «سواء أكان ريغان قد فوض كيسنجر بأن يقول هذا أم لا، فان التركيز على القوة العسكرية بدلاً من الحل السياسي، وكذلك المحافظة على ما يسمى بالتوازن العسكري بين الشرق والغرب بدلاً من أن يكون هذا توازنا على أساس اقليمي، يعكس عنصرا شائعا في وجهة النظر العالمية تجاه ادارة ريغان الجديدة... ان الاوروبيين لا يستبقون الاحداث الآن ان هم وجهوا تحذيرا قويا لاميركا بأن هذا المفهوم خاطىء وخطير بالنسبة للشرق الاوسط. اذ انه مفهوم يتناقض كليا مع الخبرة الاوروبية – ولا سيما البريطانية – بكاملها في الشرق الاوسط منذ الحرب العالمية الثانية. فقد اثبتت القواعد العسكرية الأجنبية في الشرق الاوسط دائما أنها تعود بالضرر أكثر من النفع